حملة سودان المستقبل

العلاقات السودانية - التشادية:
التاريخ والحاضر وآفاق المستقبل
(ورقة سياسات)

إعداد: د. محمد علي تورشين

مقدمة تاريخية:

تشاد هي امتداد لمملكة وداي في القرون الوسطى والتي تزامنت مع سلطنة دارفور. تشاد تشترك مع السودان في حدوده الغربية مع إقليم دارفور وهي أطول من الحدود السودانية مع افريقيا الوسطى. خضعت تشاد للاستعمار الفرنسي منذ انهيار مملكة وداي وحتى عام 1960م حين حصلت على استقلالها وبعد ذلك تم تنصيب فرانسوا تمبلباي على سدة الحكم فيها.

عدد سكان تشاد حوالي 12 مليون نسمة 55% منهم عبارة عن مسلمين يتحدثون العربية بينما 45% منهم عبارة عن مسيحيين وتحديدا كاثوليك وحوالي 5% لا دينيين او لديهم معتقدات أخرى. اللغة الرئيسية في تشاد هي اللغة الفرنسية بالإضافة للغة العربية. أي أنك لا تحس بأفضلية لغة على الأخرى وانما اللغتين مستخدمتان ة حتى في الخطابات الرسمية حيث تجد الجزء الأيمن من الخطاب بالعربية والجزء الايسر منه بالفرنسية.

نشأ تداخل ثقافي واجتماعي بين البلدين نتيجة للتداخل بين الشعبين وكون كثير من السودانيين من أصول سودانية والعكس صحيح، لدرجة ان الكثير من العادات والثقافات مشتركة بين البلدين. كما تتشابه اللهجة العربية في كل من دارفور وتشاد كما نجد سماع الأغاني السودانية في تشاد وزهدناك كثير من المشتركات

الثقافية والوجدانية وسيجد الزائر لتشاد في كل ركن او دكان شريط سوداني لوردي او ندى القلعة او نادر خضر وغيرهم.

كما نجد ان هناك أكثر من 15 قومية هي قوميات مشتركة بين البلدين وقد تكون اكبر قومية مشتركة وذات تأثير كبير جدا على العلاقات بين البلدين هي قومية الزغاوة وكذلك نجد من القوميات المشتركة البرقو والبرنو والفلاتة والهوسا والتاما والسلامات وغيرها من الشعوب التي لها امتدادات بين السودان وتشاد.

كذلك تجد ان الاكلات السودانية منتشرة في تشاد سواء كانت العصيدة او الكسرة او الزلابيا (والمسماة في تشاد بالفنقاسو) حيث نجد ان كل الوعاء الثقافي السوداني وتحديدا الدارفوري مشترك مع تشاد وخصوصا في شمال تشاد أي من انجمينا وانطلاقا للحدود الشمالية والشرقية حيث ان هذه المناطق التي يتواجد فيها عدد كبير من المسلمين او اغلبية مسلمة. اما الجنوب فهو مركز المجموعات المسيحية والذين ينحدر منهم الاب المؤسس لتشاد بعد الاستقلال أي فرانسوا تمبلباي.

للأسف نجد ان الانقسام بين شمال وجنوب ومسلمين ومسيحيين والذي هو سمة لكثير من دول الساحل وغرب افريقيا موجود أيضا في تشاد، وقد سلم المستعمر الفرنسي عند خروجه مقاليد الأمور من سلطة سياسية ومدنية للجنوب. جدير بالذكر هنا ان حسين حبري عندما وصل للسلطة ارتكب جرائم كبيرة جدا ضد الجنوبيين وضد المدنيين وحتى ضد المجموعات المسالمة وهو الامر الذي جعله مطالبا فيما بعد من محكمة الجنايات الدولية. والان هو موجود في ..... وتم الحكم عليه بعقوبة السجن المؤبد

تاريخ العلاقات:

في الستينات كانت فترة حكم عبود وفي هذه الفترة نستطيع أن نقول ان العلاقات كانت عادية وفاترة باعتبار ان الفترة التي أعقبت استقلال السودان كان التوجه فيها توجه عروبي. مهتم بمنطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية اكثر من اهتمامه بافريقيا ودول الجوار الافريقي او دول غرب افريقيا التي تشكل امتدادا جغرافيا وثقافيا وحضاريا للسودان. أيضا لأن تشاد كانت في حالة عزلة أو خمول لم تسمح لها بالتأثير الكبير على السودان كما سنستعرض في الفترة الأخيرة.

استمرت فترة حكم تمبلباي حتى نهاية السبعينات. لكن في الصراع الذي تم بين فرانسوا تمبلباي وحسين حبري لم يكن السودان واضحا حيث كان يميل مرة لصالح الحكومة القائمة بينما مرة يميل لحسين حبري حتى وصل حسين حبري للسلطة في 1979 وحتى تلك اللحظة لم تكن العلاقات السودانية – التشادية بذلك الشكل والتأثير الكبير وانما كانت في كثير من اللحظات في عمليات توازن. بعد ذلك يمكننا القول ان كثير من الحركات وجماعات المقاومة للنظام الموجود أي نظام حسين حبري كانت مرتبطة كثيرا بالسودان وكان لها تأثير كبير جدا باعتبار ان السودان وتشاد بهم عدد كبير جدا من القوميات المشتركة.

بعد وصول حكومة الإنقاذ او حكومة المؤتمر الوطني للحكم في السودان في 1989 وبناءا على فكرة تصدير الايدلوجيا او تصدير المد الإسلامي الى الخارج استطاعت ان تكون جبهة الإنقاذ الوطني بقيادة ادريس دبي في السودان والتي شارك عدد كبير من أبناء القبائل الحدودية في المعارك بين حسين حبري وادريس دبي حتى استطاع ادريس دبي ان يصل للسلطة وذلك بفضل دعم وتأييد كبير جدا من النظام في الخرطوم وباعتبار ان ذلك يشكل فاتحة لمشروع تصدير الثورة والمد الإسلامي الى الخارج وهو المشروع الذي حاولت الإنقاذ تطبيقه في عدد من الدول المجاورة ولكنها فشلت لعدة اعتبارات. لكن نجاح الحكم في السودان في تغيير الحكم في تشاد راجع للتقارب والتداخل الذي تحدثنا عنه بعاليه.

ما يلينا وما نركز عليه في هذه الورقة ان العلاقات بين السودان وتشاد اخذت منعطف مهم جدا باندلاع الصراع المسلح في دارفور او بروز حركات التحرر الثوري في دارفور في مطلع 2003 والتي اعقبتها فترة متوترة في العلاقات السودانية التشادية إذ أنه بالرغم من ان الخرطوم كانت قد دعمت ادريس دبي الا انه بدأ في دعم المجموعات المسلحة وتحديدا حركة العدل والمساواة السودانية حيث وفر لها غطاءا سياسيا وغطاءا دبلوماسيا وأصبحت تشاد ملاذ آمن لعدد كبير جدا من اللاجئين وهم موجودون حتى الآن في معسكرات في شرق تشاد والذي تقدر بعض الاحصائيات عددهم بحوالي مليون لاجيء. كل هذه العوامل أدت لدعم ادريس دبي لحركة العدل والمساواة وان يفتح لها الحدود الامر الذي تمخضت عنه عملية الذراع الطويل والتي وصلت فيها حركة العدل والمساواة للعاصمة القومية وتحديدا لمدينة ام درمان. في نفس الاتجاه استضافت الحكومة السودانية المعارضة التشادية بقيادة محمد نور واخرين ووفرت لهم الدعم واستطاعوا الوصول حتى العاصمة انجمينا ولولا تدخل الطائرات الفرنسية لسقطت انجمينا. بعد الشد والجذب والكر والفر بين الخرطوم وانجمينا توسط الرئيس السنغالي عبد الله واد بين البلدين وتم الاتفاق على مبادرة صلح بحيث لا تتدخل أي من الدولتين في أراضي الدولة الأخرى لدعم أي محاولة انقلاب او زعزعة الامن والاستقرار فيها.

بعد الإطاحة بالبشير ورغم استضافة تشاد لمئات الآلاف من اللاجئين السودانيين، لم يتم الاهتمام من قبل المجلس العسكري ثم الحكومة الانتقالية بدور تشاد. ويذكر الجميع كيف خرج الرئيس دبي غاضبا لعدم ذكر اسمه او دور تشاد في خطاب الاصم عند التوقيع على اتفاق العسكر – قحت. وهو امر تنبه له الأستاذ عادل عبد العاطي حيث أشار لدور تشاد وشعبها في احتضان آلاف السودانيين حيث كتب في تغريده بتاريخ 18 أغسطس 2019 (التحية لشعب جمهورية تشاد الشقيق والشكر لدولة تشاد لرعايتها لملايين اللاجئين السودانيين دون منٍ او أذى). بعدها تمت زيارات لحميدتي والبرهان وحمدوك لتشاد ولكنها كانت زيارات مجاملات أكثر منها مبنية على نظرة استراتيجية.

تحليل سوات للعلاقة بين الدولتين:

من خلال كل هذا السرد يمكن ان نقول ان العلاقة بين البلدين هي علاقة تواصل او علاقات مشتركة حيث نجد انه بعد دولة جنوب السودان نجد ان دولة تشاد هي الدولة الأقرب للسودان بسبب اللغة المشتركة والثقافة المشتركة كما هناك تبادل تجاري كبير حيث ان معظم المواد الغذائية والتموينية تصل لتشاد من السودان (غالباً عن طريق التهريب) وهذه من اهم الإشكاليات التي تواجهها الدولة السودانية والتي يجب حلها، مع الاخذ في الاعتبار ان تشاد دولة حبيسة وتستخدم في تعاملها الخارجي كل من ميناء دوالا في الكاميرون وميناء كتنو في بنين. ورغما عن قرب المسافة بين انجمينا ودوالا الا انه في حالة استخدام خط السكة الحديد السوداني ومده من نيالا الى تشاد باعتبار ان تشاد ارض خصبة للاستثمار السوداني.

تشاد مقارنة بالسودان دولة فقيرة حيث لا تنتج ابسط المنتجات ويتم استيراد اغلب المنتجات من الخارج مما يعطي ميزة تفضيلية للاقتصاد السوداني من الممكن استغلالها. حتى خدمات العلاج نجد ان المستشفيات السودانية مكتظة بالمرضى التشاديين وهي كلها عوامل إيجابية وسلبية يجب اخذها بعين الاعتبار ونحن ننظر لمستقبل العلاقات بين البلدين.

هناك أيضا إشكالية حدود بين البلدين باعتبار ان الحدود حدود انسيابية وهي تتكون من سهول وخيران صغيرة يمكن تجاوزها بسهولة. غياب السلطات السودانية على طول الشريط الحدودي الممتد من مناطق فور برنقا وحتى الطينة والمناطق الأخرى يسهل عملية التوغل داخل الدولة وهي مشكلة لن تحل الا بوجود علامات على الحدود وقوات مشتركة.

التحدي الاخر والكبير الذي يمكن ان يشكل عائقاً امام تطور العلاقات هو النظام السياسي في تشاد حيث انه نظام حكم فردي اوتوقراطي يواجه الكثير من المعارضة ويكاد الرئيس ادريس دبي ان يكون أطول الرؤساء بقاءاً في السلطة (مع يوري موسفيني واسياس افورقي) . هذا كله ربما يجعل حكومة تشاد متوجسة من التغيير الدائر في السودان ومن عملية أي تواصل حقيقي بين الشعوب وباعتبار انه في التداخل بين الشعوب فإن الشعوب تكون تواقة لدعوة الحرية. ومن الملاحظ أنه تزامنا مع الحراك الأخير في السودان والذي أفضى لإزالة الطاغية عمر البشير حصلت بعض التحركات المشابهة في انجمينا لكن غياب المعارضة السياسية التي تم قمعها في تشاد جعل وجودها شبه معدوم وهش وهذه جزئية مهمة جدا يمكن ان تجعل النظام في تشاد قلقاً من تطور العلاقات بين البلدين بشكل جيد وانسيابي وهذا تحدى اخر بين التحديات المختلفة في العلاقات.

هناك أيضا العامل الخارجي وتحديدا الدور الفرنسي وباعتبار ان كل الحكومات الفرنسية المتعاقبة ومنذ خروجها من مستعمراتها الافريقية في مطلع الستينات كانت لها تعاقدات بل امتيازات في بعض هذه الدول بحيث تستفيد من ثرواتها ومواردها. في تشاد يستفيد الفرنسيون من الثروة النفطية لها بشكل كبير ولذلك تحاول الحكومة الفرنسية الإبقاء على الأوضاع كما هي ولو بالقوة حتى تتحقق لها مصالحها السياسية والاقتصادية من جراء تدفق البترول. هذه الجزئية يمكن حلها عن طريق حوار شفاف مع الفرنسيين وتقديم تطمينات للطرف الفرنسي ان تطوير العلاقات السودانية التشادية لا يؤدي بالضرورة لتدمير المصالح الفرنسية في المنطقة وانما يمكن ان يهدف لعلاقات جديدة أفضل بين فرنسا وشركائها الأفارقة بما فيهم تشاد والسودان.

موقف حملة سودان المستقبل من العلاقات مع تشاد:

- من ناحية مبدئية لا تتدخل حملة سودان المستقبل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وخصوصا دول الجوار، وباعتبار ان قضية الحكم في كل بلد هي امر راجع لشعبه. ولكن من ناحية أخرى فنحن ندعم حق كل الشعوب في حرية الاختيار والتعبير والحصول على الحقوق بالطرق السلمية ومع كل اصلاح سياسي يتم في دول الجوار.
- تقف حملة سودان المستقبل مع تطوير العلاقات مع تشاد وجميع دول الساحل باعتبار انها امتداد حضاري وثقافي للسودان، كما تقف مع تطوير الاتحاد الافريقي ليصبح اتحادا افريقيا ومع حرية الحركة والعمل والتجارة بين بلدانه، مما سيوقف مشاكل التهريب والتوغلات العسكرية والكثير من المشاكل الحدودية. على المدى القصير ندعم تنشيط الحركة التجارية بين الولايات التشادية الشرقيي والولايات السودانية الغربية.
- ربط البلدين بطريق بري – حديدي ينطلق من تطوير الطرق القائمة وايصالها للحدود وذلك ضمن مشروع استراتيجي يهدف لربط بورتسودان – داكار أي البحر الأحمر بالمحيط الأطلسي ويمر بدول الساحل وغرب افريقيا.
- تشجيع تشاد حالياً على استيراد وتصدير منتجاتها عبر الموانئ السودانية بورتسودان وسواكن ، وذلك باعطاء ميزات تفضيلية للبضائع التشادية
- تعزيز دور القوات المشتركة بين البلدين في بسط الأمن والاستقرار في شرق تشاد ودارفور, وذلك بعد الحل النهائي والعادل والشامل للنزاع في دارفور والعمل على دعم الامن والاستقرار في تشاد والعمل على تحقيق التعاون الأمني في مجال مكافحة الجريمة والإرهاب وتجارة المخدرات وغسيل الأموال والجريمة المنظمة والعابرة للحدود بما يعزز ويدعم مسيرة العلاقات بين البلدين.

- تطوير آليات التبادل الثقافي والعلمي وزيادة فرص المنح والبعثات التعليمية السودانية للطلاب والطالبات من تشاد بما يحقق ويقوي عرى العلاقات بين الشعبين.
- العمل على صياغة استراتيجية وآليات للعمل المشترك بين منظمات المجتمع المدني والأهلي والعمل على تنشيط وتطوير آليات الدبلوماسية الشعبية بما يحقق التقارب والتعاون والتواصل بين الشعبين والبلدين.
- إقامة المؤسسات والآليات والهياكل التي تعني بتنمية الأقاليم المتجاورة ومناطق التداخل من حيث الأطر المادية والبشرية بهدف ترقية الإنسان وبيئته في مناطق الحدود مما يشكل بعداً أمنياً واستراتيجياً لكلا البلدين.
- العناية في اختيار الدبلوماسيين السودانيين العاملين في تشاد من حيث الإدراك والوعي السياسي والاجتماعي والأمني والأكاديمي لإدارة دفة العمل الدبلوماسي هناك بأفضل الطرق لمصلحة البلدين.